الحياة الطيّبة
السنة 25
العدد46
صيف2021م
ملف العدد

جدل الإيمان والإلحاد في الفلسفة الغربيّة المُعاصِرة -الفيلسوف وليَم لين كريج أنموذجًا-

د. صابرين زغلول السيّد[1]

مُستَخلَص:

لقد أضحى النقاش، في مشكلة الشرّ وقضيّة وجود الله والصعوبات التي تواجه الإيمان، من أكثر الجدالات التي تدور في الغرب المسيحيّ، وتزايد الاهتمام بهذه المسألة في الآونة الأخيرة أكثر فأكثر، حيث ظهرت جوانب جديدة لمناقشة هذه القضايا. ويرجع ذلك إلى التطوّرات الناجمة التي حدثت في العلم والفلسفة جزئيًّا، التي كانت تجلب نتائج جديدة، ولا سيّما ما نتج عنها من جدل في نظريّة الانفجار الكبير (Big Bang)؛ وهي المثال الأعمّ شهرة، وكذلك الأبحاث العديدة في أصول الحياة والكون، ونظريّات المعرفة، ونظريّات الأخلاق التي تحمل حُججًا للبرهنة على وجود الله، وغيرها من البحوث العديدة في فلسفة الدين عن أدلّة وجود الله وطبيعة الشرّ وعلاقته بالإلحاد، ويطالعنا في سياق المستجدات الفكريّة ومقتضياتها الفيلسوف وليام لين كريج (William Lane Craig)(1949م)[2]؛ وهوأحد أبرز الفلاسفة المسيحيّين المعاصرين الذين تصدّوا لمناقشة

(1) باحثة في الفكر الإسلاميّ، وأستاذة فلسفة الدين، في كلّيّة البنات - جامعة عين شمس، من مصر.

(2) كريج، وليم لين: فيلسوف تحليليّ ولاهوتيّ مسيحيّ أمريكيّ ولد 1949، له حوالي ثلاثين كتاب؛ من أشهرها: برهان الكلام الكونيّ، الزمن والسرمديّة، الإيمان المعقول، ... كما نشر كذلك أكثر من مئة موضوع في مجلات متخصّصة، منها: مجلة الفلسفة، دراسات العهد الجديد، والصحيفة البريطانيّة لفلسفة العلوم.

المسائل الرئيسة في فلسفة الدين في مفهوم الله وطبيعة الإيمان به، ومشكلة الشرّ والصعوبات التي تقف عقبة في طريق الإيمان، ولا سيّما الإيمان المسيحيّ، وغيرها من المسائل الفلسفيّة الشائكة. وقد انتهج كريج منهج اللاهوت الدفاعيّ؛ بهدف تقديم أساس عقلانيّ للإيمان المسيحيّ والدفاع عنه ضدّ الاعتراضات على عدم وجود الله، من خلال فضح العيوب الظاهرة في النظرة العلمانيّة للدين.

كلمات مفتاحيّة:

الإيمان، الإلحاد، وليم لين كريج، الفلسفة الغربيّة المعاصرة، جدل الإيمان والإلحاد، مشكلة الشرّ، صعوبات الإيمان المسيحيّ.

مقدّمة:

في جدل العلاقة بين الإيمان والإلحاد، تأتي محاولة الفيلسوف وليم لين كريج انتهج كريج التي انتهج فيها منهج اللاهوت الدفاعيّ؛ لتقدّم أساس عقلانيّ للإيمان المسيحيّ وتدافع عنه ضدّ الاعتراضات على عدم وجود الله، من خلال فضح العيوب الظاهرة في النظرة العلمانيّة للدين. وأمام هذه المحاولة تطالعنا مجموعة من الأسئلة التي تتطلّب إجابات ملحّة، بعيدًا عن النصوص المقدّسة التي لا يؤمن بها الملحدون، أبرزها:

هل يستطيع الإيمان العقلانيّ المنطقيّ سدّ الثغرات الموجودة في جدار الإلحاد؟

هل استطاعت فلسفة كريج الردّ على المشكّكين في وجود الله، ولا سيّما فى سياق الردّ على العديد من المفاهيم الفلسفيّة التي يتناولها الملحدون؛ لتعضيد مذهبهم في إنكار الألوهيّة؛ وبخاصّة في ما يتعلّق بمشكلة الشرّ؟

هل نجح كريج في ربط أدلّة وجود الله بالتطوّرات العلميّة المعاصرة؟

هل عالج كريج الصعوبات التي تواجه الإيمان المسيحيّ بشكل منطقيّ؟

هل نحتاج في عالمنا المعاصر إلى الإيمان المتعقّل لمواجهة التطرّف الدينيّ والمشكلات الدينيّة الراهنة؟

للوقوف على ذلك، كان لا بدّ من تحليل أراء كريج المختلفة في هذا الصدد. وهذا ما ستتكفّل المقالة به ضمن محورين:

- مشكلة الشرّ.
- صعوبات الإيمان.

المحور الأوّل: مشكلة الشرّ:

تمثّل مشكلة الشرّ دليلًا قويًّا من أدلّة الملحدين على عدم وجود الله، وهو ما صرّح به زعيم الملحدين في بداية القرن الواحد والعشرين أنطوني فلو (م2010-1923) (Antony Flew)، بعد تراجعه عن إلحاده، حيث يقول: «**إنّ شبهة الشرّ هي سبب إلحادهم، وجحدهم وجود إله خالق**»[1]، بل ربّما يكون الشرّ هو الدليل الوحيد الذي يمكن استحضاره من قِبل الملحدين للتدليل على إلحادهم. وقد واجه كريج في العديد من المناظرات بعض الملحدين؛ أمثال: الفيلسوف الأمريكيّ الملحد مايكل تولي (Michael Tooley) عام 2010م، وكذلك الفيلسوف البريطانيّ الملحد) ستيفن لاو) (Stephen Law) عام 2011 م اللذان اتّخذا مفهوم الشرّ فقط للتدليل على عدم وجود الله، ومن أجل ذلك حاول كريج تجديد الخطاب الدينيّ المسيحيّ بالرجوع إلى التأويلات الصحيحة دون الجمود على تفسيرات النصّ حتّى يتناسب مع المشكلات المعاصرة، وعلى الرغم من سيطرة مفاهيم أغسطين (Augustinus) (م430-354) اللاهوتيّة التي ظهرت في القرن الرابع الميلاديّ، واستمرّت في رسوخها حتّى ظهرت المشكلات المعاصرة في العصر الحديث، فقد حاول كريج متّفقًا مع أستاذه جون هيك على تجديد الخطاب الدينيّ وتوجيهه لحلّ المشكلات المعاصرة بالرجوع للفهم الصحيح من خلال تفسيرات القديس أورنايوس (وُلد ما بين 135-145م)[2]*، والخروج من عباءة أغسطين، حيث وقف كريج على تناول اللاهوت المسيحيّ لهذه المشكلة، والتي جاءت في ثلاثة ردود رئيسة؛ وهي ما تعرف بالردود الثيوديسيّة Theodicy [3]، وتتلخّص

(1) -Antony Flew, there is aGod, How the World's Most Notorious Atheist Changed His Mind New York, Harper Collins, 2007 ,p13.

(2) Jean-Yves Lacoste: Encyclopedia of Christian theology, Rout ledge, London, 2005, p792.

* هو أشهر آباء القرن الثاني في شهادته للإيمان الرسولي ودفاعه عن العقيدة المسيحيّة فى مواجهة البدع الغنوصيّة، ويعدّ واحدًا من الآباء الذين تلقّوا التعليم الشفاهي من الرسل أنفسهم، ولذلك يُلقّب بمؤسّس علم اللاهوت المسيحيّ، ولُقّب أيضًا بـ«أبو التقليد».

(3) أوّل من صاغ هذا المصطلح هو الفيلسوف الألمانيّ ليبنتز (1664 - 1716م) وهو مشتق من الكلمة اليونانية Theo,Dike وتعني العدل الإلهيّ؛ لأجل حلّ مشكلة الشرّ لاهوتيًا.

في الردّ الأُوغسطيني، والردّ الإيرنايوسي، ورد لاهوت الصيرورة (process Theology) [1]، والذي يعنينا من هذه الردود الثلاثة هو الرد الإيرنايوسي الذي اعتمد عليه كريج في ردّ مشكلة الشرّ.

تأثير الثيوديسا الإيرنايوسيّة على كريج:

ساد في الغرب المسيحيّ منذ القرن الرابع الميلاديّ، وحتّى أواخر القرن الماضي تأويل أغسطين لمعضلة الشرّ، حيث ربط هذه المشكلة بسقوط الإنسان من صلاحه الأصليّ، وانتهى إلى «**الطبيعة السلبيّة أو العدميّة للشرّ**»[2]، وأنّ الإنسان خير بطبيعته يتمتّع بالخير المطلق، ولذلك جاء الشرّ الأخلاقيّ؛ نتيجة لعصيان الربّ؛ وبالتالي وقع الإنسان في الخطيئة، وبالطريقة نفسها، جاء الشرّ الطبيعيّ، فجميع الكوارث الطبيعيّة من زلازل وفيضانات وأعاصير وغير ذلك هي نتاج لخطايا مختلفة، وبالتالي هي عقوبات، ومن هنا كانت صياغة أغسطين المشهورة لمعضلة الشرّ «كلّ شرّ يمثّل خطيئة أو عقابًا لخطيئة»[3]. وعلى عكس ذلك يأتي الردّ الإيرنايوسي، الذي يرجع إلى القديس إيرنايوس، ويتعلّق بفكرة الخلق التدريجيّ للبشريّة كاملة من خلال حياة يعيشها في عالم النقص، لذا أوَّلَ القديس إيرنايوس أن الله خلق البشر في مرحلتين: المرحلة الأولى لم يكنْ البشر أدم وحواء على هيئتهما كاملين؛ كما سقطا في الخطيئة، ولكن كانا أشبه بمخلوقات حيوانيّة ذكيّة، ثمّ تحوّلوا تدريجيًا من خلال استجابتهم الحرّة إلى أبناء لله؛ وكأنّ البشريّة خلقت لتصير شبيهة الله، لذلك جاءت إجابة الثيوديسا الإيرنايوسية عن الشرّ الأخلاقيّ بأنّ «هذا النوع من الشرور شرط ضروريّ لخلق الإنسانيّة على مسافة معرفيّة من الله؛ بحيث يكون الإنسان في وضع

(1) يذهب لاهوت الصيرورة إلى القول بوجود إله محدود القدرة لا يستطيع منع الشرور التي تصدر عن البشر أو عن حركة الطبيعة.

(2) هيك، جون: فلسفة الدين: ترجمة: طارق عسيلي، ط1، بيروت، معهد المعارف الحكميّة، 2010م، ص64.

(3) م.ن، ص64.

يتمتّع فيه بحرّيّة حقيقيّة بالنسبة لخالقه»[1]. ولهذا يأتي الشرّ الأخلاقيّ من سوء استخدام البشر لحرّيّتهم، فالإنسان من خلال إرادته يستطيع أن يستجيب باختياره لله «**الذي يدعوه ذاته كإبن لله**»[2]. وبالتالي ينفي إيرنايوس ربط الشرّ الطبيعيّ بالخطيئة، حيث إنّ كثيرًا من الآلام والأوجاع الطبيعيّة؛ مثل: الزلازل والبراكين والجراثيم ليس لها علاقة بالإرادة البشريّة، وقد انطلق كريج من هذا التأويل لمعضلة الشرّ، حيث خالف أوغسطين في تفسيره للشرّ على أنّه «**هو ما يتعارض مع الإرادة الإلهيّة**»[3]. واتّفق كريج مع أستاذه جون هيك على أنّ الشرّ هو «**ما تدلّ عليه الكلمة من ألم جسديّ ونفسيّ وأذى أخلاقيّ يشكّل أسباب الألمين النفسيّ والجسديّ، إذ أنّ مقدارًا كبيرًا من الألام البشريّة ينشأ عن اللإنسانيّة... لكن رغم أنّ الكمّ الأكبر من الألم والمعاناة ناتج عن الفعل البشريّ، فإنّ كثيرًا منها ينتج عن أسباب طبيعيّة؛ كالجراثيم والزلازل والعواصف والحرائق والبرق والفيضانات**»[4]. وقد بدا لكريج أنّ البؤس والشرّ والألم المنتشر في البشريّة كلّها من مظاهر وحشيّة الإنسان، ونتائج تلك الوحشيّة وآثارها، ولا يمكن تحمّل تصوّرها في الواقع، ولذلك رأى «**أنّ الإنسان يبدو أنّ لديه ميل لقسوة لا يمكن تصوّرها**»[5]؛ ما جعله ينظر إلى أنّ مشكلة الشرّ هي من أكبر العقبات التي تقف أمام الإيمان في وجود الله، فيقول «**عندما أتأمّل في مدى الشرّ وعمقه في العالم؛ سواء أكان بسبب وحشيّة الإنسان للإنسان أم الكوارث الطبيعيّة، لا بدّ لي من الاعتراف بأنّي أجد صعوبة في الإيمان بالله**»[6]. وعلى الرغم من هذه الصعوبة، يرى كريج أنّ الشرّ الأخلاقيّ على ضرره البالغ، غير أنّ الأكثر صعوبة منه وضررًا هو

(1) هيك، فلسفة الدين، م.س، ص65.
(2) م.ن، ص66.
(3) م.ن، ص.ن.
(4) م.ن، ص.ن.
(5) William Lane Craig, Hard Question, Real Answers , Wheaton Illinois, Published by Crossway Books2003, p75.
(6) Ibid, p75.

الشرّ الناجم عن الأسباب الطبيعيّة التي ربّما تتسبّب في معاناة الآلاف من الناس؛ مثل: الكوارث الطبيعيّة؛ كالفيضانات، والزلازل، والأعاصير، وأنواع الأمراض المعدية، أو الإعاقات الخَلقيّة[1].

لقد انتهج كريج منهجًا تحليليًّا لتمييز الشرّ وأقسامه، هذا التمييز الذي يرى أنّه سيجعل من تفكير الإنسان تفكيرًا سليمًا مستقيمًا، وهو ما سيتيح له -أيضًا- إفراد ردًّا واضحًا جليًّا في كلّ قسم منه، لذلك قسّم كريج الشرّ إلى مشكلة فكريّة ومشكلة عاطفيّة.

أولًا: المشكلة الفكريّة للشرّ (Intellectual Problem of Evil):

تتعلّق المشكلة الفكريّة للشرّ بكيفيّة إعطاء تفسير عقلانيّ للتعايش بين الله والشر[2].

وقد أعطى كريج، تفسيرًا واضحًا لوجود الله والشر معًا، معتمدًا على بُعدين أساسيّين لصياغة هذه المشكلة، وذلك عن طريق وصفها بأنّها إمّا مشكلة داخليّة، وإمّا مشكلة خارجيّة:

1. المشكلة الداخليّة للشرّ (Internal Problem of Evil)

قسّم كريج مشكلة الشرّ الداخليّة إلى نظرتين: نظرة منطقيّة، وأخرى احتماليّة:

أ-النظرة المنطقيّة (Logical Version):

تمثّل المشكلة المنطقيّة للشرّ الشكل التقليديّ للاعتراض الإلحاديّ لمشكلة الشرّ منذ أبيقور؛ وصولًا إلى الملاحدة المعاصرين، وتقرّر أنّ وجود الشرّ في العالم يتعارض مع وجود الإله؛ إذ أنّ الكمال الإلهيّ يقتضي

(1) Ibid, p77.

(2) صاغ الفلاسفة هذه المشكلة صيغًا مختلفة خصّصوا لها العديد من المصطلحات؛ مثل: الحجّة الاستنتاجيّة، والاستقرائيّة، والمنطقيّة، والاحتماليّة، والإثباتيّة.

ألا يكون هناك شرّ في العالم. وقد تناول كريج تحليله لهذه المشكلة، من خلال هيوم الذي استخدم الشرّ للدلالة على عدم وجود الله، وفي هذا الصدد يتساءل هيوم بشأن الله: هل هو على استعداد لمنع الشرّ، ولكنْ ليس قادرًا؟ إذًا فهو عاجز!

هل هو قادر، ولكنْ ليس على استعداد ؟ إذن فهو حاقد!

هل هو قادر ومستعدّ؟ فمن ثمّ أين هو الشر؟«[1].

ويترك هيوم الجواب للمستمع والقارئ من خلال تلك الجدليّة التي تحدث داخل الذهن البشريّ، والتي يلتقطها كريج، فيجد أنّ هيوم يبني جدليّته على فرضيّات ربّما لا تتناقض نتائجها، غير أنّه لا يوجد تناسق منطقيّ في ما بينها، ويظهر عدم التناسق في طرحه للقضايا التالية:

(1) إذا كان يوجد إله كامل القدرة والمعرفة والخير بالعالم،

(2) إذًا لن يوجد شرّ في العالم.

(3) يوجد شرّ في العالم.

(4) إذًا، فإنّه لا يوجد إله كامل القدرة والمعرفة والخير في الآن ذاته.

وهنا يرى كريج، متأثّرًا بتفسير ألفين بلانتينجا في هذا الصدد، أنّ القضيّتين(1) و(2) ليستا متناقضتين منطقيًّا، ولا يوجد تناقض صريح بينهما، غير أنّه يوجد تناقض ضمنيّ؛ في افتراض بعض الأماكن الخفيّة التي من شأنها أن تؤدّي إلى إبراز التناقض الفعليّ وجعله صريحًا؛ وذلك لأنّها تتضمّن قضيّتين أخريين؛ هما:

(3) إذا كان الله هوكامل القدرة؛ فإنّه يستطيع إعادة اختيار العالم.

(4) وإذا كان الله هوكامل المعرفة والخير، فإنّه يفضّل العالم من دون

(1) David Hume, Dialogues concerning Natural Religion, ed. with an Introduction by Norman Kemp Smith, Indianapolis: Bobbs-Merrill, 1980), Part X, p198.

شرّ على العالم في وجود الشر[1]. وتثبت هذه القضايا الشكّ في وجود قدرة الله وعلمه بعدم خلق عوالم خالية من الشرّ. ومن أجل ذلك يقف كريج على القضيّة(3) ليبرز هذا التناقض الفعليّ لما طرحه الملحدون، فيقول: «ليس صحيحًا بالضرورة أنّ قدرة الله يمكن أن تخلق أيّ عالم ممكن حسب رغبته، فقدرة الله الكاملة لا تعني أنّه يمكن أن يفعل الاحتمالات المنطقيّة؛ مثل: تحويل مربّع إلى شكل هندسيّ آخر، أو جعل شخص ما يختار بحرّيّة للقيام بشيء ما؛ لأنّه إذا كان الله يجعل الشخص يتّخذ خيارًا محدّدًا، فإنّ هذا الخيار لم يعد حرًّا بالمعنى الكامل للحرّيّة»[2]، وللخروج من هذه المشكلة للشرّ المنطقيّ قدَّم كريج دفاعه ضدّ مشكلة الشرّ الأخلاقيّ، وقد تمثّل هذا الدفاع من خلال ما يُعرَف بمذهب المولينزم أو المعرفة الوسطى، والذي سيلعب دورًا أساسًا في فلسفة كريج ودفاعاته عن الإيمان المسيحيّ.

مذهب المولينزم (Molinism) المعرفة الوسطى:

يرجع هذا المصطلح للقرن السادس عشر على يد اللاهوتي اليسوعي لويس دي مولينا (1535-1600م)[3]، الذي أصبح كريج، ومن قبله ألفين بلانتنيجا؛ من أهمّ الدعاة له في عصرنا الحالي، وقد لجأ دعاة المولينزم لمفهوم المعرفة الوسطى من أجل حلّ مشكلة الشرّ الأخلاقيّ؛ وذلك للتوفيق بين السيادة الإلهيّة والإرادة الإنسانيّة الحرّة، فجوهر المولينزم هو أنّ الله له السيادة التامّة، وكذلك الإنسان أيضًا، يمتلك الشعور بالحرّيّة في اختياراته، لذا يسعى أصحاب هذا المذهب إلى تجنّب ما يسمّى «الحتميّة

(1) William Lane Craig, Hard Question, Real Answers, p82.

(2) William Lane Craig The Problem of Evil
https://www.bethinking.org/suffering/the-problem-of-evil

(3) فيلسوف أسباني، كان كاهنًا يسوعيًا من أكثر المدافعين عن الحرّيّة البشريّة التي سعت للتأكيد على أنّ الإنسان سيظلّ حرًا تحت تصرف النعمة الإلهيّة:
see:https://en.m.wikipedia.org/wiki/Luis_de_Molina
https://www.britannica.com/biography/Luis-de-Molina#ref52245

اللاهوتيّة؛ وهو الرأي القائل بأنّ الله يحكم مسبقًا بمن سيتمّ إنقاذه أو يحكم عليه باللعنة الأبديّة، دون أيّ تأثير أو معنى لاختيارات الإنسان الحرّة»[1]، وقد ميّز أصحاب هذا المذهب بين ثلاثة أنواع من المعرفة، والتي من شأنها توضيح أن يكون الإنسان متحمّلًا لمسؤليّاته واختياراته وقراراته بشكل تامّ، وتتلخّص في الآتي:

النوع الأوّل: المعرفة الطبيعيّة؛ وهي معرفة الله بكلّ ما هو ضروريّ بكلّ الحقائق الممكنة، وكلّ الأشياء التي يمكن أن تكون.

النوع الثاني: المعرفة الحرّة؛ وهي معرفة الله تمامًا وبشكل قاطع دون أيّ شرط أو فرض، بجميع الأمور التي ستحدث وبالمثل الأمور التي لن تحدث، «**فالمعرفة الحرّة هي معرفة الله في ما قرّر لخلقه**»[2].

النوع الثالث: المعرفة الوسطى؛ وهذا النوع من المعرفة يحتوي على الافتراضات الحقيقيّة بشأن الحرّيّة الممكنة لكلّ المخلوقات، وما سوف يفعلونه بحرّيّة؛ بمعنى معرفة الله بما سيفعل كلّ مخلوق بحرّيّة، وفي أيّ ظرف معيّن سيقوم بهذا الفعل، وتتكوّن هذه المعرفة ممّا يسمّيه الفلاسفة الحرّيّة المضادّة؛ وهي «الحقائق حول الإرادة الحرّة للمخلوقات وما سوف يفعلونه بحرّيّة وفي أيّ ظرف من الظروف». وهذه المعرفة؛ مثل المعرفة الطبيعيّة، مستقلّة عن إرادة لله[3].

ومن خلال المعرفة المتوسّطة، يحاول أصحاب مذهب المولينزم إظهار أنّ معرفة الله مكتفية ذاتيًّا، وبالرغم من ذلك تسمح بالإرادة الحرّة للإنسان.

وبعبارة أخرى، الإنسان هو حرّ تمامًا، ولكنّ الله له -أيضًا- السيادة الكاملة والسيطرة التامّة على كلّ ما يحدث، ولا إكراه في الخيارات الإنسانيّة.

(1) Luis de Molina, On Divine Foreknowledge, Part IV of the Concordia, translated with introduction and notes by A. J. Freddoso, ,Ithaca: London, 1998, p176.

(2) Craig, Hard Question, Real Answers, p168.

(3) Ibid, p168.

وقد أحيا هذا المذهب من جديد في عصرنا الحالي ألفين بلانتينجا الذي يعتبر له الريادة في الوصول إلى حلّ الجدال المنطقيّ في مشكلة وجود الله والشرّ معًا، حيث ذهب إلى «حقيقة أنّ المخلوقات الحرّة أحيانًا، لا تحسب ضدّ وجود قدرة الله الكلّيّة، ولا ضدّ حرّيّته؛ لأنّه ليس بالإمكان أن يمنع وقوع الشرّ الأخلاقيّ؛ إلا بمنع إمكانيّة الخير الأخلاقيّ»[1]. ويتابعه كريج في ذلك، حيث يوضِّح أنّ الله ليس مسؤولًا عن ما يفعله الإنسان من أعمال خيّرة أو شريرة؛ وفقًا للإرادة الحرّة التي يمتلكها الإنسان، حيث يتحمّل كلّ شخص نتيجة أعماله وأفعاله، وقد وضّح كريج ذلك برجوعه إلى الكتاب المقدّس: «لاَ يتباطأ الربّ عن وعده؛ كما يحسب قوم التباطؤ، لكنّه يتأنّى علينا، وهو لاَ يشاء أَنْ يهلك أناس، بل أنْ يقبل الجميع إلى التوبة»[2]. من خلال هذه الآية وغيرها من آيات الكتاب المقدّس يرى كريج أنّ الله لا يريد أن يهلك الناس، ولكنّه يفتح باب التوبة لهم، ويسعى لتقريب جميع الناس إليه، فكما جاء في رسالة بولس إلى تيموثاوس «الذي يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحقّ يقبلون»[3]، لذلك يرى كريج بأنّ الشرّ ينبع من أولئك «الذين يتّخذون قرارًا مستنيرًا وحرًّا لرفض المسيح وهو بذاته الإدانة، لأنّهم أنكروا تضحية الله الفريدة من أجل الخطيئة»[4]. وبالتالي فببعدهم عن الله والتضحية به قد «أغلقوا رحمة الله وختموا مصيرهم» [5]، إذن هم وليس الله المسؤولون عن إدانة أنفسهم، ومع ذلك، فإنّ الله؛ كما يقول كريج: «يحزن بشدّة لخسارتهم»[6].

ويوضّح كريج أنّ المشكلة ليست في إدانة الله للأشخاص الذين يرتكبون الشرّ والسوء، المشكلة في «تضحيتهم بالله وعدم تقبّلهم لكي

(1) Alvin Plantinga , the natur of necessity, Oxford ,Clarendon press, 1974, p167.
(2) رسالة بطرس الثانية: 3:9.
(3) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس: 2:4.
(4) Craig, Hard Question, Real Answers, p77.
(5) Ibid, p77.
(6) Ibid, p78.

تتاح لهم الفرصة لاستقباله»[1]؛ لذلك يطرح كريج سؤالًا هامًّا؛ وهو لماذا خلق الله هذا العالم عندما كان يعرف أنّ الكثير من الأشخاص لن يحصلون على خلاص المسيح؟ والأكثر أهمّيّة، لماذا لم يخلق الله عالمًا فيه الجميع يؤمنون بحرّيّة بالمسيح؛ وبالتالي يتمّ إنقاذهم؟

هنا يتطرّق كريج إلى فرضيّة هامّة جدًّا هي فرضيّة العوالم الممكنة الخالية من الشرّ، تلك الفرضيّة التي لعبت دورًا هامًّا في الفكر الفلسفيّ والعلميّ على حدٍّ سواء؛ بجانب دورها الأساس في فلسفة كريج الفرضيّة.

فرضيّة العوالم الممكنة:

ترجع جذور فرضيّة العوالم المتعدّدة أو الممكنة إلى الفكر اليونانيّ القديم، ولا سيّما الأبيقوريّة، حيث ذهب أبيقور إلى أنّ «هناك عددًا لا متناهي من العوالم، بعضها يشبه هذا العالم وبعضها يختلف عنه»[2]. لذلك جاءت نظرته إلى الفضاء بين العوالم بأنّه يستوعب عوالم جديدة أخرى تقطن فيها الآلهة، وكما يقول أبيقور في رسالته إلى هيردوت «أنّ العوالم والكتل الذرّيّة المحدودة التي من صنف الأشياء التي ندركها من حولنا صادرة عن اللامحدود، وتتولّد العوالم كبيرها وصغيرها عن دوّامات بعينها، كما أنّ الأشياء مآلها الإنحلال، يزول بعضها بسرعة، والعكس، وذلك لعِلة ما أو أخرى. ولا يجب أن نعتقد أنّ صورة العوالم صورة واحدة بالضرورة، ولا يمكن أن نبرهن على أنّ البذور التي تولّدت عنها الكائنات الحيّة والنباتات وجميع الأشياء المنظورة أنّها توجد أو لا توجد فى عالم دون آخر»[3].

(1) Ibid, p79.

(2) Diogenes Laertitus,The Lives of The most eminent philosophers, Translated by R.D. Hicks, (Loab classical Library) 1925, X45.

(3) أبيقور: رسالة إلى هيردوت، ترجمة ودراسة: جلال الدين السعيد، ضمن كتاب أبيقور الرسائل والحكم، لبنان، الدار العربيّة للكتاب، لا ت، فقرة 74، ص187.

وقد تبنّى نظريّة العوالم اللامتناهية جوردانو برونو(1548 - 1600 م)، حيث يرى أنّ العالم الذي نعيش فيه أو الكون يمتلئ بعدد لا نهائي من العوالم؛ كعالمنا هذا، وأنّ هذه العوالم تحتوي على حياة نشطة. وقد أثّرت هذه النظرة الفلسفيّة على النظريّات العلميّة؛ وخاصّة العلم الحديث، كما في براين جرين (1963م -) في كتابه الحقيقة الخفيّة «**عوالم متوازية وقوانين عميقة للكون**»[1]. وينبغي أن نلاحظ أنّ أحد المبادئ التي تقوم عليها نظريّة العوالم الممكنة أو المتعددة هي فكرة اللاتناهي في حجم الكون، وإنْ كان ألبرت أينشتين (1879-1955م) وضع الثابت الكونيّ ليؤكّد اتّساع الكون، وقد تابع إدوين هابل (1889-1953 م) أنّ الكون يكبر ويتّسع مع الزمن، وحينما نفكّر في أنّ هذا الكون الهائل يتّسع، فقد يعني هذا أنّنا لو قبلنا الزمن لنسافر فيه إلى الوراء؛ كما لو أنّنا نعيد الشريط أثناء عرضه، سنجد أنّ الكون يتقلّص أو ينكمش، ومعه تنكمش المسافات بين المجرّات، ثمّ المسافات بين النجوم، ثمّ تنكمش النجوم والكواكب على بعضها، وهكذا إلى أن تنضغط الأمور على بعضها تدريجيًّا لنصل إلى نقطة صغيرة جدًا، ثمّ نعد لتشغيل الشريط مرّة أخرى في الاتّجاه الزمنيّ، فسنرى ذلك الانفجار العظيم الذي تحدّث عنه العلماء والذي ولّد فقاعة هذا الكون الهائل؛ بما فيه من تجمّعات مجرّاتيّة، ومجرّات ونجوم وكواكب وغيرها[2]، وقد اعتمد كريج بشكل واضح على تلك الاكتشافات العلميّة في أدلّته لإثبات وجود الله، ولا سيّما دليل الكلام الكونيّ على نحو ما سيأتي عرضه.

والذي يعنينا الآن هو وقوف كريج على فرضيّة العوالم لتفنيدها ومواجهة الملحدين بهذا التفنيد، ويتساءل كريج: هل أفضل العوالم الممكنة هو الذي لا معاناة فيه ولا خطيئة؟

(1) Brian Greene: The Hidden Reality: Parallel Universes and the Deep Laws of the Cosmos, publisher, Knopf, U.S.A, 2011, p10- 20.

(2) http://sciwarepod.wordpress.com

تم الدخول إلى الموقع بتاريخ: 2017/8/20م.

تأتي إجابات كريج رافضة لكلّ العوالم الممكنة؛ لأنّها ستؤدّي في نهاية الأمر إلى نفس النتيجة الموجودة في العالم الفعليّ؛ ذلك أنّ الافتراض يقوم على عوالم ممكنة تتمتّع فيها المخلوقات بإرادتها الحرّة. وهنا يوجِّه كريج الذهن البشريّ لاستنتاج النتيجة المتوقّعة لفرض هذه العوالم، فيقول «لنفترض، بعد ذلك، أنّه في كلّ عالم ممكن حيث خلق الله المخلوقات الحرّة، فإذا ببعض هذه المخلوقات يختار بحرّيّة القيام بالشرّ، وفي مثل هذه الحالة، فإنّ المخلوقات نفسها هي التي تجلب الشرّ»[1]. وبالطبع، ونتيجة للإرادة الحرّة لتلك المخلوقات، فلن يفعل الله شيئًا لها لمنعها من القيام بذلك. وبالتالي فمن الممكن أنّ أيّ عالم ممكن سيخلقه الله ويحتوي على المخلوقات الحرّة سيكون عالم في وجود الخطيئة والشرّ، ومن هنا ينتهي كريج إلى نتيجة يوضّح فيها «أنّ أفضل العوالم الممكنة هو ذاك الذي يشتمل على كائنات حرّة يستطيع بعضها فعل ما هو خاطئ»[2]. ويلجأ كريج إلى طُرق الملحدين في ردّه عليهم في مسألة الشرّ، حيث يقيس وجود الشرور الطبيعيّة، على الشرّ الأخلاقيّ النابع من خلال الإرادة الحرّة، فيرى أنّه من المحتمل أنْ يكون نتيجة لنشاط شيطانيّ في العالم، فالشياطين يمكن أنْ يكون لها الحرّيّة تمامًا؛ مثل البشر، ومن الممكن أن لا يستبعد الله الشرّ الطبيعيّ دون إزالة الإرادة الحرّة من المخلوقات الشيطانيّة.

وعلى الرغم من ذلك، فإنّ هذا التفسير لمشكلة الشرّ الطبيعيّ؛ كما يراه كريج سخيف وتافه[3]؛ ذلك أنّ إحالة كلّ الشرور إلى الكائنات الشيطانيّة هو أمر غير محتمل. وهذا هو منطق الملحدين نفسه؛ بأنّ وجود الشرّ في وجود الله هو أمر غير محتمل، ولهذا لجأ كريج إلى هذه الفرضيّة من أجل

(1) Craig, Hard question, Real Answers, p82.
(2) Ibid, p83.
(3) Ibid, p87.

دحض حجّة الملحدين في المشكلة المنطقيّة للشرّ، بل، وأيضًا المشكلة الاحتماليّة للشرّ[1].

ب - النظرة الاحتماليّة للشرّ (Probabilistic Version)**:**

تزعم المشكلة الاحتماليّة للشرّ أنّه إذا كان هناك تعارض في الصميم بين وجود الله ووجود الشرّ؛ فإنّ المرء يميل إلى الاستبعاد الاحتماليّ لوجود إله قدير عليم رحيم يسبّب الشرّ، وهنا يقف كريج لتفنيد المسألة الاحتماليّة للشرّ، بمعالجة القضيّة من خلال عدد من الردود؛ هي:

- تنشأ الحجّة الاحتماليّة؛ وفقًا للمعلومات السابقة للمرء؛ وبالتالي تقاس النتيجة؛ تبعًا لتلك المعلومات المُسبقة التي يمتلكها المرء، ويدلّل كريج بمثال مفترض من الواقع ليصل إلى أنّنا «نجد الملحد يدّعي أنّ وجود الله غير محتمل، لكنْ في ما يتعلّق بماذا؟ في ما يتعلّق بالشرّ في العالم؟ فإذا كان هذا هو الاحتمال الأوحد في كلّ المعلومات الأساسيّة، فإنّه من المستغرب أنّ وجود الله يجب أن يظهر بأنّه غير محتمل بالنسبة لذلك وحده»[2]؛ أي أنّ قياس وجود الله بهذا الاحتمال الأوحد؛ وهو وجود الشرّ أمر ليس منطقيًا، والجدير بالذكر هنا أنّ كريج يتعامل بالمناهج الحديثة؛ طبقًا لقواعد البيانات والإحصاء فالأدلّة الاحتماليّة التي يستند عليها الملحدون تنحصر فقط من خلال إشكاليّة الشرّ؛ وهو دليل ناقص لإقامة عدم احتمال وجود الله عليه وحده. ويشير كريج ومعظم الفلاسفة المؤمنين إلى كثير من الأدلّة التي تثبت وجود الله في الوقت نفسه[3]؛ فالأدلّة والإثباتات التي تؤكّد وجود الله هي أكثر

(1) Ibid, p87.

(2) William Lane Craig The Problem of Evil: https://www.bethinking.org/suffering/the-problem-of-evil:

تمّ الدخول إلى الموقع بتاريخ: 2017/10/10م.

(3) Ibid.

من تلك التي تنفي وجوده، ولذلك ينتهي كريج إلى أنّه عندما نأخذ في الاعتبار النطاق الكامل للأدلّة؛ فإنّنا يمكننا الحفاظ على المسيحيّة، وبالتالي يصبح وجود الله محتمل جدًا.

- يرى كريج أنّ البشريّة ليست في وضع يسمح لها ببساطة أنْ تعرف لماذا يسمح الله بحدوث شرور مختلفة؟ نحن لسنا في وضع جيّد نستطيع من خلاله الحكم على الغاية الأخلاقيّة لله وراء الشرّ الموجود في العالم، فنحن مقيّدون في المكان والزمان، وفي الذكاء والبصيرة، فقد يكون لله غاية لا نعلمها لطرحه بعض الشرور التي نراها غير مجدية وغير ضرورية لنا في إطارنا المحدود. لذلك يجب أن ننظر إلى هذه الشرور على أنّها مسموح بها بشكل عادل من داخل فضاء الله اللامحدود. ويستعير كريج من خلال مجال العلوم بنظريّة الفوضى، حيث اكتشف العلماء أنّه من خلال بعض الأنظمة نستطيع التنبّؤ بما سيكون عليه نظام آخر[1]. ويذهب كريج إلى أنّ المشكلة الاحتماليّة للشرّ هي مشكلة المُلحد فقط، ويشير إلى دانيال هوارد سنايدر (Daniel Howard-Snyder)[2] الذي نبّه إلى «أنّ مشكلة الشرّ هي مشكلةٌ للملحد، أو لمن وجد مقدّمات المشكلة واستنتاجاتها مقنعة، وكانت أسباب قناعته بوجود الله هشّة، أمّا إذا كان للمؤمن بالربّ حُجّة صلبة، فإنّ وجود الشرّ ليس مشكلة»[3].

- يرى كريج أنّنا نستطيع أن نجد مخرجًا لمشكلة الشرّ الاحتماليّة من خلال المسيحيّة، التي يجد فيها «توافقًا وسبيلًا للتعايش مع

(1) Craig, Hard Question, Real Answers, p88.

(2) أستاذ معاصر للفلسفة في جامعة واشنطن الغربيّة.

(3) Daniel Howard-Snyder, «ed. The Evidential Argument from Evil The Indiana Series in the Philosophy of Religion].(Bloomington: Indiana University Press, 1996), pxi.

مشكلة الشرّ»[1]؛ وذلك من خلال عرضه لأربعة مذاهب، تتعلّق بنظرة المسيحيّة إلى الشر؛ وهيّ: أنّ الهدف الرئيس للمسيحية ليس السعادة، بل تحقيق ملكوت الله[2]، وأنّ الله قد أعطى البشريّة الحرّيّة حتى في اختيار الخطيئة[3]، وأنّ المسيحيّة تتعايش مع المعاناة والشرّ؛ بهدف الفوز بالنعيم الأبديّ، فليست الحياة الدنيا هي نهاية حياة الإنسان[4]، وأنّ المعاناة في هذه الحياة لا يمكن مقارنتها بالمحبّة والمجد اللانهائي[5].

ومن هنا، فإنّ هذه المذاهب المسيحيّة الأربعة تزيد من احتماليّة تعايش الله والشرّ؛ وذلك بمقارنة الأدلّة السلبيّة لهذه النظرة الاحتماليّة لوجود الله والشرّ معًا، مع الأدلّة الإيجابيّة. وبذلك يكون قد وجد الحلول للمشكلة الفكريّة الداخليّة من خلال الكتاب المقدّس.

2- مشكلة الشرّ الخارجيّة (External Problem of Evil):

الجدير بالذكر أنّ الحجّة المنطقيّة قد سقطت في الغرب سقوطًا ذريعًا بعد دراسات الفيلسوف ألفين بلانتنجا التي اعتمد عليها كريج؛ مستندًا في ذلك إلى مفهوم الإرادة الحرّة؛ بوصفها مبرّرًا منطقيًّا للشرّ، وقد لاحظ كريج في السنوات الأخيرة، أنّ المشكلة تحوّلت من النظرة الداخليّة للشرّ التي تُرجع معظم الشرور إلى الكائنات البشريّة، إلى ما يُعرف بالمشكلة الخارجيّة للشرّ، حيث أخذت المناقشة بُعدًا آخر ضدّ وجود الله؛ ذلك أنّ منكري الألوهيّة يدّعُون أنّ الشرور تبدو لا طائل من ورائها ولا لزوم لها في

(1) Craig, On Guard: Defending Your Faith with Reason and Persuasion, p164.

(2) Crag, Hard Question, Real Answers, p90, 92, 93.

(3) انظر: الرسالة الأولى إلى أهل رومية: 24:1، 28.

Crag, Hard Question, Real Answers,p, p,90.

(4) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس: 4:6؛ 18:4.

Crag, Hard Question, Real Answers, p101.

(5) William Lane Craig The Problem of Evil
https://www.bethinking.org/suffering/the-problem-of-evil

العالم، ويضعون هذا الطرح من خلال طرحهم للقضايا الآتية:

(1) وجود الله كلّي القدرة وكلّي الخير.

(2) هناك كثير من الشرور التي لا مبرّر لها.

(3) إذا كان الشرّ لا مبرّر له

(4) إذن الله غير موجود.

يتّخذ كريج دفاعًا آخر بشأن مواجهة المشكلة الخارجيّة للشرّ، حيث يوجّه الانتباه من مظاهر الشرّ إلى الوجود الفعليّ للشر، ويستخدم في ذلك براهينه التي تعامل بها في النظرتين المنطقيّة والاحتماليّة، حيث يرى أنّه لا يوجد سبب أخلاقيّ من الله لوجود هذا النوع من الشرّ الذي لا مبرّر لوجوده، ويطرح سؤالًا هامًّا: «ما هي أهمّيّة هذا الحدث لملكوت الله؟ بمعنى آخر: ما هي حكمة الله لنا فى هذا؟»[1]. وهنا يعيد كريج تعديل السؤال بمفهوم أقرب للصحّة، والذي سيؤدّي إلى الإجابة الأقرب للصحّة، فإنْ كان هذا الشرّ الذي نراه بتلك السطحيّة لا مبرّر لوجوده، فربّما يكون هناك حكمة من ورائه لم ندركها بعد، فإنْ تمّ إدراك حكمته ربّما لم يكنْ شرًّا مبرّرًا في الأصل، بل نجد له التبرير الصحيح والسبب الأخلاقيّ الذي جعل الله يسمح به[2]. لذلك يؤكّد كريج على أهمّيّة النظر بعمق من زاوية الأحداث ونتائجها، وليس بنظرة بشريّة سطحيّة عاجلة لهذا الشرّ الطبيعيّ، وإذا تمّ ذلك، سوف نرى العدالة والحبّ من خلال عين الله.

فالإنسان لا يستطيع أن يعرف الغيب مطلقًا؛ سواء الماضي أو الحاضر أو المستقبل، ولا يستطيع -أيضًا- أن يدرك الحكمة من كلّ حدث لهذا الشرّ الظاهر أمامه، والذي يراه بأنّه لا مبرّر لوجوده، كذلك قد يستطيع

(1) William Lane Craig, On Guard: Defending Your Faith with Reason and Persuasion, p162.

(2) Crag, Hard Question, Real Answers, p102.

الإنسان معرفة الحكمة من بعض الشرور، لكنّه لا يمكن أن يعرف الحكمة خلف كلّ الشرور التي تحدث[1]. ويوضّح كريج أنّ الله لا يطالبنا بأمور فوق طاقاتنا البشريّة أو قدراتنا، من حيث معرفة الحكمة من كلّ حدث فيه شرّ ليس مبرّر، بل يطالبنا بالثقة فيه، وبأنّ كلّ شرّ له حكمة فيها خير أكبر للبشريّة، ويطالبنا أيضًا بضرورة أن يثق الإنسان في أنّ الله محبّ له ويفعل الخير له ومن أجله، حتّى وإن كان ظاهر هذا الشرّ بنظر الإنسان مجرّد شرّ سطحي لا مبرّر لوجوده من الأساس. وهذه الدعوة للثقة بالله «ليست دعوة لإيمان أعمى، حيث إنّ هناك أدلّة على وجود الله، وأيضًا والأهمّ بعد هذه الثقة هو الإيمان بأنّ هناك حياة أخرى أبديّة نتيجة لهذه الثقة وجزاء وفق الصبر على المعاناة»[2]. ويصيغ كريج بعض الأسباب التي تؤثّر إيجابًا في انخفاض نتائج الشرّ الطبيعيّ الذي يُنظر إليه بنظرة سطحيّة على أنّه شرّ لا مبرّر لوجوده ومن تلك الأسباب ما يلي:

- تشابك الشرّ الطبيعيّ والشرّ الإنسانيّ الأخلاقيّ يؤدّي إلى زيادة النتائج الكارثيّة التي تظهر لنا، لذا فالابتعاد عن الشرّ الأخلاقيّ يقلّل من الكوارث الطبيعيّة، ولن يتمّ ذلك إلا بالامتثال تعاليم المسيح[3]؛ فـ«إنْ لم يكن هناك شرّ أخلاقي، فإنّ العديد من الشرور الطبيعيّة تختفي أو تنخفض إلى حدّ كبير»[4].

- احتواء العالم على الشرور الطبيعيّة التي لا مبرّر لها قد تكون اختبار خاص للناس لكي يأتوا إلى معرفة الله، فهدف الله المهيمن هو أن يأتي الناس ليعرفوه بأنفسهم بطريقة حرّة وغير جبريّة، لذلك ربّما في احتواء العالم على المعاناة الطبيعيّة التي لا طائل منها يتوجّه الناس إلى الله، وعلى الرغم من أن الله قد لا يتدخل شخصيًا في معظم الحالات لمنع

(1) Ibid, p103.
(2) Ibid, p103.
(3) Ibid, p104.
(4) Ibid, p104.

المعاناة، غير أنّ هذا لا يعني أنّه متورّط فيها؛ ذلك أنّ الله «خلق العالم الفيزيائي ببساطة وفقًا لبعض القوانين الطبيعية المنظمة والتي تسير وفق حكمة وعناية إلهيّة، فلم يجلس الله في الخلف ليترك تلك القوانين تسير كما هي، ولذلك يجوز لله أن يتدخّل أحيانًا للقيام بمعجزة، ولكن ذلك هو الاستثناء وليس في كلّ شأن أو حدث»[1].

لذلك ينتهي كريج من خلال النظرة الخارجيّة للشرّ بأنّه ليس من الخطأ أن يسمح الله بالشرور الطبيعيّة؛ لأنّه في فترة ما بعد الحياة سيكافئ مع الصالحين أولئك الذين أمنوا وعانوا ويعانون من تلك الآلام الطبيعيّة.

ثانيًا: المشكلة العاطفيّة للشرّ (Emotional Problem of Evil):

تقوم المشكلة العاطفيّة للشرّ على أنّ معظم الناس الذين يرفضون الله؛ بسبب الشرّ في العالم، لا يفعلون ذلك بسبب الصعوبات الفكريّة، بل هي مشكلة عاطفيّة؛ لأنّهم فقط لا يحبّون الله الذي يسمح لهم أو للآخرين بالمعاناة؛ وبالتالي «فإنّهم لا يريدون القيام بأيّ علاقة معه، ويلحدون به لمجرّد الرفض»[2]. لذلك يرى كريج أنّ مشكلة الشرّ بالنسبة لكثير من الناس، تكون مشكلة عاطفيّة؛ لأنّهم يتألّمون داخليًا بمرارة ضدّ الله الذي يسمح بالمعاناة لهم وللآخرين إلى حدّ كبير، فضلًا عن أنّ الحلول الفلسفيّة لمشكلة الشرّ لا تهتمّ بتقديم الحلول، وتسمح لهذه المعاناة أنْ توجد في العالم، ويقدّم لنا كريج أنموذجًا لمشكلة الشرّ العاطفية من خلال رواية الأخوة كارامازوف لدوستوفسكي، «حيث يأتي إيفان في النهاية ولا يأخذ بالحلّ المسيحيّ لمشكلة الشرّ، وبدلًا من ذلك، يرفض أن يكون له علاقة بالإله المسيحيّ، فيقول: إنّني أُفضّل أن أظلّ مع معاناتي وهذا السخط وعدم الرضى»[3].

(1) William Lane Craig The Problem of Evil
https://www.bethinking.org/suffering/the-problem-of-evil
(2) Ibid.
(3) Crag, Hard Question, Real Answers, p108.

وهنا يتساءل كريج هل لدى الإيمان المسيحيّ شيء ليقوله لهؤلاء الناس؟

ويجيب على ذلك بقوله «بالتأكيد نعم! لأنّه يقول لنا أنّ الله ليس الخالق المفارق والبعيد عن الوجود الإنسانيّ، ولكنّه الأب المحبّ الذي يشاطرنا المعاناة والأذى»[1]. لذلك ينبّه كريج إلى سؤال أكثر جدليّة من السؤال السابق نظرًا لأهمّيّته؛ بوصفه مفتاحًا لحلّ المشكلة العاطفيّة للشرّ، حيث يحوّل كريج سؤال «كيف يمكن للربّ أن يبرّر نفسه لنا؟ إلى كيف يمكن أن يكون لنا ما نبرّره أمامه؟»[2]. وهنا يضعنا كريج أمام مفارقة من المفارقات في مشكلة الشرّ، فعلى الرغم من أنّ مشكلة الشرّ هي الاعتراض الأكبر على وجود الله، غير أنّ كريج يوجّه الأنظار إلى أهمّيّة الإيمان بالله؛ بوصفه حلًّا لمشكلة الشرّ، وإنْ لم يكن هو الحلّ الوحيد. ولذلك يقول: «إذا لم يكن الله موجودًا، فإنّنا نفقد الأمل في حياة مليئة بالمعاناة التي لا مبرّر لها ولا تعوّض، الله هو الحلّ النهائيّ لمشكلة الشرّ؛ لأنّه يعيد لنا الأمل في حياة أخرى»[3].

ولذلك يقول كريج لهؤلاء الذين يعانون تحت المشكلة العاطفيّة للشرّ بأنّ الشيء الأكثر أهمّيّة هو أن يكون هناك صديق محبّ ومستمع متعاطف، ولن يكون ذلك إلا من خلال الإيمان المسيحيّ[4].

(1) Ibid, p108.
(2) William Lane Craig, On Guard: Defending Your Faith with Reason and Persuasion, p162.
(3) Ibid, p162.
(4) Ibid, p162.

المحور الثاني: صعوبات الإيمان المسيحيّ عند كريج..

سخافة الحياة بدون الله:

سعى كريج لحلّ مشكلة الشرّ التي وضعها الملحدون؛ بوصفها أكبر عقبة في طريق الإيمان بالله، وحاول تفنيدها بالأدلّة والبراهين العقليّة لإثبات وجود الله، غير أنّ مشكلة الإيمان بالله ما يزال أمامها بعض من الأفكار الزائفة التي تشكّل عائقًا أمام الكثيرين في الإيمان المسيحيّ[1]. وقد ركّز كريج على ثلاث صعوبات رئيسة أمام الإيمان بالله، حاول أن يقدّم حلولًا لها. وتنحصر هذه المشكلات في: سخافة الحياة بدون الله، والتعدّدية الدينيّة، وقيام المسيح. وسوف نركّز على واحدة منها؛ وهي المشكلة الأولى؛ مراعاة للاختصار.

سخافة الحياة بدون الله:

يتحدّث كريج عن معقوليّة الإيمان، من خلال محاولته اكتشاف المأزق البشريّ الذي يعيش فيه الإنسان المعاصر، والذي يحاول دائمًا أن يجد المعنى الحقيقيّ لوجوده؛ ذلك أنّ الإنسان هو المخلوق الوحيد في الكون الذي يسأل لماذا؟ من أنا؟ لماذا أنا هنا؟ أين أنا ذاهب؟ ومن هنا جاءت أزمة الإنسان الوجوديّة في محاولته الإجابة على هذه الأسئلة، دون الرجوع إلى الله، وبمحاولته التحرّر من أيّ قيود دينيّة. وبالتالي تأتي الإجابات غير مبهجة، ولا يكون وراءها إلا الظلام الحالك، فإذا لم يكن الله موجودًا؛ فإنّ حياة الإنسان تصبح سخيفة، وإذا لم يكن الله موجودًا، فإنّ كلًا من الإنسان والكون محكوم عليهما حتمًا بالموت، فالإنسان؛ مثل كلّ الكائنات البيولوجيّة، يجب أن يموت، فإذا لم يكن هناك أمل في الخلود، فعندئذ تصبح حياة الإنسان «ليست سوى شرارة في سواد لا نهائيّ، شرارة تظهر

(1) Ibid, p12.

ومضات، ويموت إلى الأبد»[1]. ومن هنا، وضع كريج مناظرة بين معنى الحياة في وجود الله ومعناها في عدم وجوده؛ ردًا على الملاحدة الذين ينفون وجود الله. وما تلك الحياة بالنسبة لهم إلا حياة دنيوية يعيشون ويهلكون فيها، بلا أيّ معنى لها؛ وبالتالي ليس هناك خلود أو جزاء على أعمالهم. ولأنّ معنى الحياة يشكّل أحد الصعوبات التي يجدها كريج عقبة في سبيل الإيمان لدى الملحدين، نجده يحاول من الناحية العقليّة البرهنة على أهمّيّتها؛ وبالتالي أهمّيّة وجود خالق لها؛ وهو الله، ويبدأ بفرضيّة رهان باسكال؛ ومؤدّاه ضرورة المغامرة في رهان على احتماليّة وجود الله أو عدم وجوده، وينبغي أن يكون الاختيار بشكل براجماتي متساوي، «من حيث تعظيم السعادة، فإذا كان أحد الرهانات أنّ الله موجود أو لا، فإنّ أحدهما لا بدّ أن يكسب»[2]. ويتّفق كريج مع باسكال أنّه يجب على الإنسان أن يضع نصب عينيه ما سوف يحصده في حال اختار واحدًا دون الآخر، فيرى أنّه في حالة وجود الله فستكون «الحياة الأبديّة والسعادة اللانهائيّة، وإذا لم يكن موجودًا، فإنّ المرء لم يخسر شيئًا ...، وبالتالي فإنّ الخيار الحكيم الوحيد هو الاعتقاد بأنّ الله موجود»[3].

ولهذا، فالإيمان بالله هو الخيار الأفضل مقارنة مع عدم الإيمان به، لذا فالحياة الدينيّة هي الحياة الحقيقية التي يستطيع الإنسان من خلالها تحقيق السعادة التي ينشدها دائمًا كما ذهب إلى ذلك الفيلسوف الوجودي سورين كيركجورد (1813-1855م)، حيث يقدّم كريج، ثلاث مراحل مختلفة للحياة، وعلى الإنسان أن يختار بينها؛ وفقًا لتفسير كيركجورد؛ وهي: المرحلة الجمالية، والمرحلة الأخلاقيّة، والمرحلة الدينيّة. والإنسان في المرحلة الجماليّة يعيش الحياة فقط على المستوى الحسّيّ، وفقًا لغرائزه، حيث «تنغمس الذات في الملذّات الحسّيّة، وفي هذه المرحلة تدور حياة

(1) Ibid, p49.
(2) Ibid, p49.
(3) Ibid, p50.

الإنسان حول نفسها والأشياء المادّيّة؛ سواء الجنس، والفنّ، والموسيقى، أو أيّ شيء يجلب له المتعة»[1]، ولا يحصد الإنسان من هذه الحياة؛ إلا الملل وعدم الإرتياح.

ثمّ تأتي المرحلة الثانية، حيث يرتقي الإنسان في مدارج السموّ، فينعتق من غرائزه وشهواته، فلا تعود الحياة تعاش فقط من أجل النفس والمتعة الحسّيّة، ولكنّها تعاش وفقًا للمعايير والقيم الأخلاقيّة، غير أنّ المرء في هذه المرحلة «مقيّد بالسعي إلى تحقيق الصالح الأخلاقيّ، وتغيير سلوكه؛ لجعله مطابقًا للخير، والإنسان في المرحلة الأخلاقيّة هو إنسان أخلاقيّ، وبالرغم من ذلك، فالحياة أيضًا على هذا المستوى، تنتهي بالتعاسة»[2]، حيث يحاول المرء بإخلاص تحقيق الحياة وفق المعايير الموضوعيّة للخير، وهو يعي تمامًا أنّه ربّما لا يستطيع تحقيق ما يسعى إليه. لذا «فالحياة الأخلاقيّة، عندما نسعى لها بجدّيّة، تؤدّي في نهاية المطاف إلى الشعور بالذنب واليأس»[3].

أمّا المرحلة الدينيّة، ففيها يتسامى الإنسان بفضل الإيمان بالله، ولا يتحقّق ذلك إلا عبر قفزة في المجهول، توقدها عاطفة متدفّقة، يكون فيها الإنسان في حضرة الله، وهنا فقط يجد المرء مغفرة الخطايا من خلال علاقة شخصيّة مع الله، هنا فقط، يجد الإنسان الوجود الحقيقيّ والوفاء الحقيقيّ. ووفقًا لتحليل كريج «يمثّل كيركجورد الانتقال إلى هذه المرحلة بالقفزة أو الوثبة الأخلاقيّة، ولذلك أصبح معيار القرار للاعتقاد هو الاختيار»[4].

ومن خلال تلك المراحل الثلاث يرى كريج أنّ دور العقل يقتصر على المرحلتين الحسّيّة والأخلاقيّة عند كيركجورد، أمّا المرحلة الدينيّة فلا

(1) Ibid, p69.
(2) Ibid, p69.
(3) Ibid, p69.
(4) Ibid, p70.

تخضع لحكم العقل؛ ذلك أنّ «الإيمان ليس معرفة، ولا فلسفة، ولا منطقًا، ولا علمًا، وإنّما هو أمر وجوديّ عميق، لا يتأتّى بالمعرفة، بل يتذوّقه الإنسان ويعيشه تجربة حيّة فوريّة، الإيمان حالة أبعد مدى من العقل، لا يمكن تقييمها بمقاييس العقل»[1]. ولذلك يرى كريج أنّ تجربة الإيمان هي تجربة اختيار الإنسان دون إعطاء أي أسباب منطقيّة لهذه الوثبة؛ كما قال كيركجورد، فالحياة بدون وجود المطلق الكلّيّ هي حياة عبثيّة سخيفة ولن نحصد من وراءها إلا العدم. وهذا ما أكده كريج من خلال فلسفة فرانسيس شيفر (1912-1984م)، حيث يرى كريج في شيفر دفاعه الشديد عن وجود الله[2]، حيث نظر شيفر إلى أثار الثقافة الغربيّة الأخيرة، والتي وجدها عبارة عن خطّ يأس، اخترق الفلسفة والآداب والفنون؛ وهو يعتقد أنّ جذور المشكلة تكمن في فلسفة هيجل، وعلى وجه التحديد في إنكارها للحقائق المطلقة، من خلال مفهوم الثالوث المقدّس، حيث تداخلت الحقيقة الجزئيّة مع الحقيقة الكلّيّة لتصبح في نهاية المطاف حقيقة واحدة؛ وبالتالي، فلا وجود هنا لحقيقة مطلقة. وينطبق ذلك على مستوى الأخلاق والفنون، فقد قوّض «نظام هيجل فكرة الحقائق المطلقة الخاصّة؛ مثل الفعل الخاطئ أخلاقيًا أو الرسم هو القبيح من الناحية الجماليّة، عن طريق تداخلها في مجملها؛ وبالتالي لا وجود للمطلقات»[3]. ومن هنا أدّى هيجل؛ كما يرى شيفر وتبعه في ذلك كريج إلى حالة من اليأس؛ لأنّه من دون مساعي الإنسان لحقيقة المطلق؛ فإنّ الحياة تتحوّل إلى عبثيّة، وهنا يتّفق كريج مع شيفر أنّ القائمين على الفنّ الحديث التجريدي السخيف، والموسيقى الحديثة، كلها مؤشّرات على ما يحدث تحت خطّ اليأس. ويرى كريج من خلال عرضه لشيفر «أنّه فقط من خلال إعادة تأكيد الإيمان في الله المطلق من المسيحيّة يمكن للإنسان في الثقافة تجنّب الانحطاط

(1) Ibid, p70.
(2) Ibid, p70.
(3) William Lane Craig, Hard Question, p151.

الذي لا مفرّ منه، وعدم اللامبالاة واليأس»[1]. ولهذا ينظر كريج إلى جهود شيفر على أنّها «امتداد منطقيّ للدفاع المسيحيّ. بمجرّد أن ننكر وجود الله، تصبح الحياة البشريّة عديمة القيمة»[2]. والملاحظ هنا من خلال تناول كريج للنماذج الفلسفيّة السابقة هو استقرائه للواقع الغربيّ المعاصر، من خلال تحليل تطبيقيّ من الواقع الغربيّ، حيث يرى أنّ كلّ المشاكل الثقافيّة من خلال الفنّ والموسيقى تنعكس رداءتها؛ نتيجة الابتعاد عن الإيمان وعدم الاعتراف بوجود الله، ليس هذا وحسب، ولكنّه يؤكّد على أنّ المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الغرب؛ من إباحية الإجهاض، ووأد الأطفال هي ثمرة لتلك الفلسفة التي تتبنّى تيّار البعد عن الدين والإيمان بالله[3]. إذن، فإنّ وجود الله هو أمر حيويّ جدًا للإنسان.

ومن هنا أكّد كريج على مسؤوليّة الإنسان لاختياراته؛ سواء إيمانًا أو الحادًا، ولذلك أوّل كريج قَول نيتشه (1844-1900م) بأنّ الله قد مات تأويلًا جديدًا، وأنّه ما هو إلا تحذير للإنسان الذي قتل الله في قلبه، حيث رأى كريج أنّ هذه الصيحة هي أذان بالعدميّة القادمة التي سيجنيها الناس؛ نتيجة لتصرفاتهم. ولهذا يعرض كريج سؤال نيتشه كيف نكون القتلة؟ ونطلب الراحة لأنفسنا! يقول كريج: إنّ «هذا السؤال لينتشه يكشف عمّا سيدركه الناس من أثار ستترتّب على إلحادهم. وهذا الإدراك من شأنه أن يبشّر بعصر العدميّة»[4]. ويرى كريج أنّه على الرغم من المغزى العميق لطرح نيتشه، غير أنّه يكشف عن عدم اتّساق الملحدين مع أنفسهم؛ لوجود فجوة عميقة بين اعتقاداتهم وأعمالهم، ويعطينا كريج بعض الأمثلة على ذلك، حيث ذهب برتراند راسل إلى أنّه «يجب علينا أن نبني حياتنا

(1) Ibid, p151.
(2) Ibid, p152.
(3) Ibid, p152.
(4) Ibid, p73.

على الأساس المتين لليأس العنيد»[1]؛ وذلك من خلال الاعترا بأنّ العالم هو حقًا مكان رهيب نستطيع التوصل فيه بنجاح إلى شروط الحياة، ومن ضمن الأمثلة أيضًا لعدم اتّساق الفلاسفة مع أنفسهم ما ذهب إليه ألبير كامو(1913 190-م) أنّه «يتعيّن علينا أن نعترف بصدق بسخافة الحياة ثمّ نعيش في حبّ بعضنا البعض»[2]، وكذلك جدال سارتر بأنّ المرء قد يخلق معنى لحياته باختياره بحرّيّة؛ لاتّباع مسار عمل معيّن. وقد اختار سارتر الماركسيّة.

يرى كريج أنّ هؤلاء غير متّسقين تمامًا في تأكيدهم على القيم التقليديّة للحبّ، فنجد كامي متمسّك بكلّ من عبثيّة الحياة وأخلاقيّات الحبّ الإنسانيّ والإخاء؛ والإثنان غير متوافقين منطقيًا، وبرتراند راسل، أيضًا، كان منخرطًا بمشاكل المجتمع وقضاياه، وفي الوقت نفسه جاءت أراؤه الأكثر إثارة للجدل في ما يتعلّق بالحرّيّة الجنسيّة، فأدان بشدّة الأعمال التي من قبيل: مضايقة المثليّين جنسيًا وإساءة معاملتهم، والتلقين الدينيّ للأطفال؛ وهذه الآراء أثّرت بشكل كبير في الحياة الفكريّة والاجتماعيّة الغربيّة المعاصرة؛ كما نلاحظها اليوم. لذلك يكشف كريج العيوب المستترة في حياة الملحدين؛ بإظهار أوجه التناقض فيها، فيرى أنّ الملحدين «يعيشون وكأنّ القيم الأخلاقيّة لديهم مجرّد مسألة ذوق شخصيّ»[3]؛ حتى نيتشه نفسه، الذي أعلن ضرورة العيش «**وراء الخير والشرّ**»، اتّفق مع صديقه الموسيقي ريتشارد فاجنر في المعاداة العنيفة من قبل الألمان للساميّة وكراهيّتهم لليهود؛ وكذلك سارتر ناضل عبثًا للإفلات من التناقض بين إنكاره للقيم الراسخة سلفًا ورغبته الملحّة في تأكيد بعض القيم؛ مثل: برتراند راسل (1872-1970 م)، ولكنّه لم يستطع العيش مع الآثار المترتّبة على

(1) Ibid, p78.
(2) Craig, The Absurdity of Life without Godhttps ://www.reasonablefaith.org/writings/popular-writings/existence-nature-of-god/the-absurdity-of-life-without-god/
(3) Ibid.

حرمان الإنسان من القيم الأخلاقيّة المطلقة.

ولم يكنْ هذا التناقض في ما يرى كريج على مستوى الملاحدة من الفلاسفة، بل كان عدم الاتّساق -أيضًا- بين العلماء الملحدين أنفسهم، فعلى سبيل المثال: فرنسيس كريك (1916-2004م) مكتشف دي إنْ إيه (D N A) أو الشفرة الوراثيّة، قد أعلن في كتابه الحياة نفسها نشأتها وطبيعتها أنّ نشأة بروتين واحد وظيفيّ بسيط بالصدفة هو ضرب من الاستحالة؛ ممّا يؤكّد معجزة الحياة بوجود خالق لها، وليس من قبيل الصدفة، وقد اعترف فرنسيس كريك نفسه بهذه المعجزة بقوله: «أنا كرجل منصف، ومُسلّح بالعلم المتاح لنا الآن، أستطيع أن أُقرّر بشيء من المنطق، أنّ نشأة الحياة معجزة»[1]. وكذلك عالم الفلك البريطاني فريد هويل (1915-2001م) صاحب مصطلح الانفجار العظيم، وقد كان ملحدًا، غير أنّ أبحاثه في فرضيّات نشأة الحياة على الأرض، لم تجعل مجال لوجود أيّ عشوائيّة أو صدفة لوجود العالم؛ ما جعل إلحاده يهتزّ بشدّة! فمثل هؤلاء؛ كما يقول كريج «يهربون من وجود الله من خلال الباب الخلفيّ؛ لأنّهم لا يستطيعون تحمّل العيش في الكون الذي فيه كلّ شيء يؤكّد أنّه نتيجة لقوّة شخصيّة»[2]. ولذلك يطرح كريج سؤالًا جدليًا، فيقول: «إذا كان الإلحاد هو الحقّ، فماذا نقول عن الأفعال الإنسانيّة النبيلة؟ هل نقول إنّها ستذهب سدى بلا أيّ مكافأة؟» ثمّ يمتثل بالعديد من الأفعال النبيلة التي حدثت في عصره ويرى أنّه «من وجهة النظر الإلحاديّة طالما لا يوجد إله؛ فإنّ أفعال الإنسان النبيلة ستضيع هباءًا؛ إذا لم يكن هناك سبب»[3].

ولهذا يرى كريج أنّ الخروج من هذا المأزق البشريّ؛ بما يحمله من سخافة لمعنى الحياة وعدم الاتّساق بين القول والفعل، لن يكون إلا من

(1) Ibid.
(2) Craig, Reasonable Faith, Christian Truth and Apologetics, p82.
(3) Ibid, p82.

خلال المسيحيّة والتي «توفر شرطين لازمين لحياة قيّمة وهادفة للإنسان؛ من خلال معنى الله والخلود»[1]. وعليه لا بد للإنسان من الوقوف على أحد البديلين الذي نستطيع من خلاله العيش بسعادة؛ إمّا الإلحاد، أو المسيحيّة، و«حتّى لو كانت الأدلّة لهذين الخيارين على قدم المساواة تمامًا، فيجب على الشخص العاقل اختيار المسيحيّة، فمن غير المعقول تفضيل الموت، والفناء على الحياة والخلود والسعادة الأبديّة»[2]. ثمّ يترك كريج الحكم للقارئ بجدليّة باسكال ليس لدينا ما نخسره!

خاتمة:

يتّضح من خلال ما تقدّم، أنّ فلسفة كريج جاءت أقرب لعلم اللاهوت من فلسفة الدين، حيث تبنّى فيها الإطار الدفاعيّ عن المسيحيّة والتبشير بها، وأنّها الدين الحقّ أو دين الإبانة، ولا ضير في ذلك؛ باعتبار كريج لاهوتيًا مسيحيًا، ومن أجل ذلك تنوّع المنهج الذي استخدمه بتنوّع القضايا والمشكلات التي تناولها؛ وذلك بين الجانب العقليّ، والجانب الكشفيّ الصوفيّ، والجانب العلميّ، حيث انتهج طرق المتكلّمين، ولا سيّما دليل الكلام الكوزمولوجي، الذي يرجع له الفضل في إحيائه من جديد في الفلسفة الغربيّة المعاصرة. وقد كشف كريج عن منهج العلماء المسلمين في اتّخاذهم المنهج العقليّ في تحليل المشكلات، والدفاع عن الدين، وتقديم الحلول العقليّة المناسبة التي تزيل الصعوبات من طريق الإيمان، وهذا يساعد على محو الصورة السلبيّة التي شاعت في الغرب عن الإسلام. واتّضح ذلك من خلال فلسفة كريج التي جاءت مصطبغة بالصبغة العقلانيّة الدفاعيّة لقضايا الدين وطبيعة الإيمان. وهذا يضيف لكريج عمقًا دينيًا لرؤيته في التوافق بين الأديان، من خلال منظومة العقل، ولهذا جاءت فلسفته جدليّة مبنيّة على أسئلة العقل

(1) Ibid, p86.

(2) Craig, Hard Question, p150.

الاستفهاميّة؛ من أجل ضرورة التيقّظ لخطورة القضايا التي سيتناولها، ولا سيّما في ما عرضه من مشكلات الشرّ وأدلّة وجود الله والصعوبات التي واجهت الإيمان في المسيحيّة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، انتهج كريج النزعة الصوفيّة الانكشافيّة؛ بما يخصّ التجربة الإيمانيّة، حيث وصل إلى أنّ الإيمان ليس معرفة، ولا فلسفة، ولا منطقًا، ولا علمًا، وإنّما هو أمر وجوديّ عميق في الإنسان، لا يتأتّى بالمعرفة، بل يتذوّقه الإنسان؛ ليعيشه تجربة حيّة فوريّة؛ لأنّ الإيمان حالة أبعد مدى من العقل، ولا يمكن تقييمها بمقاييس العقل.

ليس هذا فحسب، بل تناول كريج الأدلّة والنظريّات العلميّة الحديثة؛ من أجل مناهضة الإلحاد القائم على مفهوم التعارض بين وجود الله والشرّ معًا، لذلك فقد حوّل النظريّات الفلسفيّة إلى معادلات ونظريّات علميّة؛ ليعكس بذلك ما انتهجه الملحدون من تحويل النظريّات العلميّة إلى نظريّات فلسفيّة؛ ما أعطى لفلسفته بعدًا جديدًا مختلفًا عن الفلاسفة السابقين عليه؛ لوقوفه على مشكلات عصره برؤى جديدة متنوّعة في استخدام المناحي العقليّة والصوفيّة والعلميّة؛ بما يتوافق مع التطوّرات الفلسفيّة والعلميّة الحديثة.

وقد حصر كريج مشكلات المجتمع الغربيّ المعاصر في النقاط الآتية:

1. أنّ غالبيّة الأوربيّين في المجتمع الغربيّ والأمريكيّ يحتفظون بانتسابهم الاسميّ للمسيحيّة، وأنّ عشرة في المائة فقط هم الذين يمارسون الإيمان، ولم يكن هذا الوصف ببعيد عن المجتمعات العربيّة المعاصرة؛ ولعلّ هذا الوصف يفسّر بعضًا من الحركات الإرهابيّة المعاصرة التي جاءت معظمها من عدم فهم الدين وطبيعته وعدم اعتمادهم على التفكير العقليّ المنطقيّ!
2. نموّ الفئات المُصنَّفة بوصفها غير دينيّة؛ ما أتاح المجال للتفسيرات

البعيدة عن جوهر الدين، والتي يكون نتيجتها الحرب على الدين؛ بما يؤدّي إلى تصاعد التيّارات المتطرّفة والأيدولوجيّات الدينيّة.

3. البعد عن الله وعدم سعي الإنسان إلى حقيقة المطلق؛ ما أدّى لتحوّل الحياة إلى عبثيّة، وهذا سينعكس بدوره على الحياة الثقافيّة، وقد ظهر من خلال الفنّ الحديث التجريديّ الذي تحوّل إلى سخافة؛ كما هو ظاهر في بعضٍ من الموسيقى الحديثة التي توحي بأنّ كلّها مؤشّرات على ما يحدث من تدهور أخلاقيّ؛ وصفها كريج بأنّها تحت خطّ اليأس.

4. كانت أهمّ العقبات التي تقف في طريق الإيمان هي عدم الاتّساق بين القول والفعل، حيث تأتي شعارات كثير من المفكّرين ورجال الدين ليس لها أساس من الصحّة بين واقعهم المعيش وشعاراتهم التي ينادون بها؛ ما أدّى إلى تذبذب فكريّ وعقديّ بين فئات المجتمع المختلفة.

5. حصر كريج المشاكل الاجتماعيّة التي يعاني منها الغرب؛ من إباحية الإجهاض، ووأد الأطفال بأنّها ثمرة لتلك الفلسفة التي تتبنّى تيّار البعد عن الدين وعدم الإيمان بالله.

من أجل ذلك وضع كريج عددًا من الحلول التي رأها مناسبة؛ وهي الآتية:

- تجديد الخطاب الدينيّ المسيحيّ بالرجوع إلى التأويلات الصحيحة دون الجمود على تفسيرات النصّ حتّى يتناسب مع المشكلات المعاصرة.
- ضرورة الاعتماد على الأدلّة الموضوعيّة؛ من أجل دعم المعتقدات الدينيّة حتّى لا تأتي الحلول على مستوى فرديّ؛ بما يؤدّي إلى إثارة الكثير من الشبهات؛ والتي بدورها تؤدّي إلى الانغماس في الكفر.
- الدعوة إلى الثقة بالله، والإيمان العقليّ به، والتعمّق في أدلّة

وجوده بما يتناسب مع ما أثبته العلم الحديث، والثقة والإيمان بالحياة الأخرويّة الأبديّة التي ستكون جزاء للصابرين على الأزمات والمعاناة.

- ضرورة التخلّي عن الشرّ الأخلاقيّ، والتحلّي بالقيم الإيمانيّة الأخلاقيّة؛ وما لذلك من أثار هائلة في الخفض من الشرور الطبيعيّة، التي تتمثّل في بعض تلك الكوارث الطبيعيّة التي نشاهدها في أنحاء العالم.
- استخدام القياسات والقوانين المنطقيّة، والمذاهب الفلسفيّة المختلفة، ولا سيّما قانون عدم التناقض، ومذهب المولينزم، والعوالم المتعدّدة، التي رأى فيها كريج حلولًا لصعوبات الإيمان المسيحيّ، حيث أثبت مسؤوليّة الإنسان عن أعماله، لذلك يستحيل منطقيًا أن يأمر الله أيّ شخص القيام بأيّ فعل بخلاف إرادته؛ لأنّ هذا الفعل يُعد إجبارًا للإنسان؛ وهو يتنافى مع الحرّيّة الممنوحة له. وهذا بدوره يؤدّي إلى عدم الاتّساق منطقيًا؛ نتيجة لقانون عدم التناقض، الذي اعتمد عليه كريج. وبذلك يكون قد قدّم نتائج تعدّ متطوّرة في قضيّة الجبر والاختيار التي شغلت تفكير معظم فلاسفة الدين؛ ليؤكد على مسؤوليّة الإنسان لاختياراته؛ سواء أكان مؤمنًا أم ملحدًا.
- استقرأ كريج الواقع الغربيّ المعاصر، من خلال عرض نماذج للفلاسفة والعلماء، الذين اتّضح في فلسفاتهم، أنّ كلّ المشاكل الثقافيّة التي تنعكس من خلال الفن والموسيقى تظهر رداءتها؛ نتيجة الابتعاد عن الإيمان وعدم الاعتراف بوجود الله.

وعلى الرغم من هذه الحلول، غير أنّ كريج حصر كلّ المشكلات الاجتماعيّة والثقافيّة في البعد عن الدين وعدم الإيمان بالله، فجاء حلّه محصورًا في لزوم الإيمان بالله فقط. وفي هذا نلاحظ إخفاق كريج في نقاط عدّة؛ هي:

- أنّ الحصر ذاته يُعدّ إخفاقًا ليس هيّنًا؛ لأنّه قد تناسى النزعة الإنسانيّة والضمير الإنسانيّ الذي جاء تعريفه في الموسوعة الفلسفيّة بأنّه «مركّب من الخبرات العاطفيّة القائمة على أساس فهم الإنسان للمسؤوليّة الأخلاقيّة لسلوكه في المجتمع، وتقدير الفرد الخاصّ لأفعاله وسلوكه. وليس الضمير صفة ولاديّة، إنّما يحدّده وضع الإنسان في المجتمع...»[1]. وهذا التعريف يترتّب عليه ارتباط الضمير ارتباطًا وثيقًا بالواجب، وليس بالدين وحده. وهذا ما يفسّر وجود سلوكيّات أخلاقيّة عند بعض الفئات غير المتديّنة.
- لم يكن إخفاق كريج منحصرًا في البعد عن النزعة الإنسانيّة وحسب، بل جاء إخفاقه في إثبات بداية العالم عن طريق وجود صلة بين الأحداث المتعاقبة وارتباطه بمفهوم أرسطو؛ بأنّ الكلّ سابق للجزء، حيث بالنظر إلى مفهوم أرسطو، نجد أنّ سلسلة الأحداث لا تتألّف من إضافات متعاقبة؛ وإنّما من انقسامات فكريّة؛ وهذا عكس ما يتطلّبه التعاقب بين الأحداث الذي يفترض مسبقًا أنّ الأجزاء هي قبل كلّ شيء، وهذا بخلاف رأي أرسطو. وأعتقد أنّ هذه التفاسير هي تطوّر لمادّيّة المذهب الأبيقوري أو النظرة المادّيّة للكون.

وبالمجمل، وعلى الرغم من هذه الإخفاقات، يمكن القول: إنّ المشكلات التي عرضها كريج لم تكن بعيدة تمام البعد عن الواقع العربيّ المعاصر، وبالتالي كانت الاحتياجات لمثل هذه الحلول التي عرضها كريج، ولا سيّما تجديد الخطاب الدينيّ، والاتّساق بين القول والفعل؛ دليلًا على أنّ الإنسان في الواقعين الغربيّ والعربيّ يبقى إنسانًا يتعرّض للمشكلات ذاتها ويتأثّر بالحلول ذاتها. وهذا يقضي على العنصريّة في كلّ مكان. وهذه واحدة من أهمّ تطبيقات الفلسفة المعاصرة.

(1) روزنتال، م، يودين، ب: الموسوعة الفلسفيّة، ترجمة: سمير كرم، ط4، بيروت، دار الطليعة، 1981م، ص282.